



حَرَكَةُ التَّوَافُقِ الوَطَنِيِّ الإِسْلَامِيَّةِ
Islamic National Consensus Movement



مؤتمر القدس السنوي الثالث

إدارة الصراع الحضاري مع الصهيونية

من الخميس 2005 / 10 / 27م إلى الجمعة 2005 / 10 / 28م
من الساعة الثامنة والنصف مساءً حتى الساعة الحادية عشر مساءً

استراتيجية المواجهة العقائدية مع الصهيونية العالمية

إعداد

فضيلة الشيخ علي حسن غلوم

إمام مسجد خاتم الأنبياء



حركة التوافق الوطني الإسلامية

Islamic National Consensus Movement



فضيلة الشيخ علي حسن غلوم

نبذة عن الباحث .

الجنسية : كويتي
الميلاد : 1965 الكويت

المستوى التعليمي : خريج الثانوية العامة - الكويت 1983 ، والتحق بالحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة في نفس العام ولغاية عام 1991 ، كما التحق بالجامعة الإسلامية المفتوحة بكالوريوس أدب إنجليزي 1989 - 1990 .

الأنشطة التبليغية : إمام مصلى خاتم الأنبياء - مسجد السيد هاشم البهبهاني ، محاضر ومؤلف لأكثر من 30 مصنفاً ، له عدة إنتاجات برمجية و إعلامية مرئية ومسموعة .

استراتيجية المواجهة العقائدية مع الصهيونية العالمية

المحور الأول

الصهيونية واليهودية

من القصور أن نعتبر اليهودية والصهيونية شيئاً واحداً، وأن كل يهودي هو صهيوني وبالعكس، فالصهيونية حركة سياسية علمانية تضم يهوداً وغير يهود ، يجمع بينهم هدف مشترك يدعون من خلاله إلى تجميع يهود العالم في فلسطين والأراضي العربية المجاورة المحتلة لتأسيس دولة ، وهو ما تحقق بالتالي من خلال إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، ولذا قال بن غوريون (الصهيوني هو اليهودي الذي يحس بأنه يعيش في المنفى، إذا كان من مواطني أي بلد غير إسرائيل، ولذلك يقرر العودة إلى جبل صهيون) ٢ . و يظهر د. عبد الوهاب المسيري هذا الفرق بوضوح قائلاً (فاليهودي هو الذي يؤمن بالعقيدة اليهودية، أما الصهيوني فهو الذي يؤمن بعقيدة سياسية هي الصهيونية) . ومن ثم فهناك يهود غير صهاينة مثل جماعة ناطوري كارتا، وهناك صهاينة غير يهود مثل اللورد بلفور ٣ .

وقد تحددت العلاقة بين الصهيونية والدين اليهودي منذ بداية الحركة الصهيونية على أساس أن حيز السياسة كان هو المسيطر والموجه مستقلاً عن الدين بصورة حاسمة مادام زعماء الصهيونية العلمانيون كانوا هم الطليعة المحققة لحلم الصهيونية في الدولة . وقد تجلت علمانية قادتها ومعاداتهم لأفكار الدين اليهودي في مواقف عديدة من قبيل انتهاك تيودور هرتزل للعديد من الشعائر الدينية اليهودية حين زار القدس ، وتجاهر الزعيم الصهيوني الألماني وصديق هرتزل ، ماكس نوراداو بالإلحاد وتصريحاته بأن التوراة كتاب طفولي من حيث الفلسفة ومقرز كنظام أخلاقي .

وعلى الرغم من أن الصهيونيين تنبهوا إلى أهمية عنصر الدين اليهودي في حركتهم رغم علمانيتهم . لكي يضيفوا عليها طابعاً يهودياً لجذب المهاجرين ولاستقطاب اليهود غير العلمانيين . فإن العنصر الديني بشكل عام قبل بتضييق نفوذه وتقليص دائرته نحو الدائرة العائلية أو الخاصة ، بحيث أنه لم يعد يبدو ملهماً لتنظيم " المجتمع الإسرائيلي " بعد قيام " الدولة " إلا بصورة غير مباشرة .

وإذ رأت القوى الدينية في " إسرائيل " نفوراً بيناً من قبل الجماهير لرجال الدين وعقائدهم وانجذاباً كبيراً في المقابل للعلمانية ، فإنها سعت لاحتواء ذلك من خلال تكييف مقولاتها وفقاً لقيم المجتمع الحديثة ، وبحثت . في مرحلة ما . عن هذه القيم وأظهرت مدى التقارب بينها وبين القيم الدينية ، إلا أنه وبمرور الوقت وتبدل الظروف تنوعت الحركات الدينية بين مؤيدة للصهيونية أي صهيونية دينية ومعادية لها من قبيل : أحزاب الأجودات . عمال الأجودات . ديغل هتوراه . شاس ، و أخرى أورثوذكسية سلفية متشددة تتبنى تكفير الدولة والاتجاه نحو الانعزالية والتي يطلق عليها اسم الحريديم ٤ .

الحريديم (الحريدية) :

الحريديم مفردھا حاريد ، وتعني : ورع - تقى ، ويطلق هذا المسمى على المتدينين اليهود المتشددین في تدينهم والحفاظ على ماضيهم (سلفية) (أورثوذكسية : كلمة يونانية تعني استقامة الرأي ويقصد بها المحافظة على الفكر اللاهوتي دون تغيير) ، علاوة على معاداتهم للصهيونية وتبني تكفير الدولة ، ويعرفون بارتداء الثياب ذات اللون الأسود صيفاً وشتاءً ، علاوة على غطاء أسود للرأس أسفل قبعة سوداء ويرسلون ذقونهم ويتحدثون الیديشية (خليط من العبرية والألمانية والسلافية) .

تنطلق الحريدية المسيحانية (نسبة للسيد المسيح الذي ينتظرون ظهوره ليقيم لهم دولة الخلاص) في رفضها للصهيونية رداً على استخدام الصهيونية للدين اليهودي ، من (أن الصهيونيين يخفون الملابس الصهيونية القذرة والفضة تحت ثياب طاهرة ومقدسة ، وأن ما يحدث هو تكرار لتجربة النبي إرميا الذي تنبأ بالمكروه لمعاصريه ممن استسلموا لخديعة الأنبياء المزييفين والذين هم في هذا العصر قادة الصهيونية ودعاتها ، فما هم إلا بشر رفضوا السيادة السماوية والإرادة الإلهية ولا يتبعون طريق التوراة ويتفاخرون بأنهم قادرين على تحقيق السلام لليهود وإنقاذهم من محنتهم الحالية ، وهي مزاعم تنكرها جذرياً نصوص متعددة من التوراة والتلمود والمدراش ، لأن الخلاص المسيحاني لا يمكن أن يتم بوسائل بشرية سواء كانت المال أو السلاح [سوف أخلصهم بقوة رب الخلود إليهم ولن أنقذهم بالقوس ولا بالسيف ولا بالحروب ولا بالخيول ولا بالفرسان [هوشع ١: ٧] ٥

وقد برزت واحدة من صور المعارضة لإقامة " دولة إسرائيل " في الاجتماع الذي عقد بمدينة أتلانتيك سيتي بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٣ من قبل ٩٢ حاخاماً ، حيث قرر المجتمعون (إننا لا نستطيع أن نسهم في التوجيه السياسي الذي يسيطر على البرنامج الصهيوني الحالي ولا نؤيده ، وذلك على هدى مفهومنا العالمي لتاريخ المصير اليهودي ، ولأننا مهتمون بوضع اليهود وأمنهم في الأجزاء الأخرى من العالم ، ونحن نعتقد أن القومية اليهودية تعمل على خلق الحيرة والغموض لدى رفاقنا حول مكانتهم ووظيفتهم في المجتمع ، وتحويل انتباههم عن دورهم التاريخي وهو أن يعيشوا في مجتمع ديني أينما كانوا) ٦ .

وقد أعلن المجلس الأمريكي لليهودية - وهو تنظيم مناوئ للصهيونية - عندما اقترح حلاً مادياً " للمشكلة اليهودية " (إننا نعترض على إقامة دولة يهودية في فلسطين أو في أي مكان آخر فتلك فلسفة انهازامية لا تقدم حلاً عملياً للمشكلة اليهودية) ، ٧

ولم تكن المعارضة الدينية للصهيونية مقتصرة على دعاة الاندماج والعالمية بين المتدينين اليهود ، بل إن قطاعاً واسعاً من المتدينين الأرثوذكس قد عارضوا الحركة الصهيونية ، لعلمانية قاداتها ولاصطدام أفكارها بالفكر اليهودي الأرثوذكسي ، حيث تعتبر أن أمل العودة وإحياء مملكة إسرائيل - وهي أهم قواعدها ، وامتدت لفترة ١٧٦٢ عاماً منذ ثورة بركوخبا عام ١٣٥ م إلى الإعلان عن تأسيس الصهيونية عام ١٨٩٧ - ولكن ذلك لا يتحقق من عمل شعب الله المختار كما نادى الصهيونية ، وبالتالي فالصهيونية تمرد على الله وخيانة للشعب اليهودي ، وأن اليهودي الصالح لا يمكن أن يكون صهيونياً ، كما أن

الصهيوني لا يمكن أن يكون يهودياً صالحاً .

ووفق هذه العقيدة فإن المسيح سيجمع لهم شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويحطم أعداء شعب إسرائيل ويتخذ أورشليم عاصمة له ويعيد بناء الهيكل ويحكم بالشرعية المكتوبة (التوراة) والشفوية (التلمود) ، ثم يبدأ الفردوس الذي سيدوم ألف عام ، ومن هنا جاءت تسمية (الأحلام الألفية) ، ومن خلال ذلك سيسود السلام في العالم ويزول الفقر وستحول الشعوب أدوات الحرب إلى أدوات بناء ويصبح كل الناس أحياء متمسكين بالفضيلة ، وتخصب الأرض وتظهر خيراتها . ومن علامات قرب ظهوره انتشار الفساد والفواحش والعقوق ونزول المصائب على بني إسرائيل وظهور مسيح آخر قبله يمهد له اسمه المسيح بن يوسف .

x أجودات إسرائيل :

وهي منظمة عالمية دينية وسياسية من الحريدية ، مبدأهم الرئيسي هو حل كل القضايا اليهودية وفقاً لروح التوراة ٨ ، وقد طرحت فكرة تأسيس هذه الجماعة لأول مرة عام ١٩٠٩ وأعلن رسمياً عنها ١٩١٢ في المؤتمر الذي عقد آنذاك ، وانبثق عنه اختيار مجلس كبار علماء التوراة كأعلى سلطة مرجعية لتنظيم حياة الجماعات اليهودية وتوجيهها .

وفي فبراير عام ١٩٣٥ وصل إلى فلسطين وفد من رئاسة المنظمة في بولندا حيث قام بإعادة تنظيم إدارة المنظمة في فلسطين ، وأسس وكالة للعناية بشئون الهجرة والاستيعاب والتفاوض مع الهيئات اليهودية الأخرى ، وقد أدت هذه التغييرات إلى انفصال القسم الأكبر من الأورثوذكس تحت اسم نظوري كارتا . كما شهدت انقسامات أخرى لاحقاً يجمعها العداء للطبيعة العلمانية للدولة (تكفير الدولة) واعتبار " إسرائيل نوعاً من أنواع المنفى ، لأنه لم ينطلق عن طريق الخلاص المسيحاني ، وقد اختلفت هذه التيارات فيما بينها في مواقف تتدرج من التعايش مع إسرائيل كدولة غريبة يجب التعامل معها كما يتعامل اليهود مع الدول الأجنبية ، إلى إضفاء صبغة دينية مجددة على " دولة إسرائيل " وإعطاء شئ من الأهمية الدينية لمفهوم الاستقلال الديني السياسي لليهود من خلال الدولة ، لأن قيامها كان نوعاً من أنواع العناية الإلهية لإيقاظ أرواح اليهود رافقته معجزات متكررة .

وهذه التيارات لا تتحرك وفقاً لهدف تحويل " إسرائيل " إلى دولة شريعة لأن دولة الهالاخاه (الشريعة اليهودية) لن تقوم إلا بمجئ المسيح المخلص ، لكنهم يطالبون باحترام الدولة للشريعة اليهودية ويحاولون استغلال الدولة لدعم مشاريعهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والتعليمية .

ومنذ عام ١٩٩٠ دخلت هذه الجماعات الحريدية بقوة في اللعبة السياسية وصارت تؤثر في تشكيل الائتلافات الحكومية والاستفادة المقابلة من ذلك .

أما حزب أجودات إسرائيل فإنه يعترف " بالوجود السياسي لإسرائيل " ويمتثل أتباعه لقوانين الدولة ويشتركون في انتخابات الكنيست ، ويشاركون في الائتلافات الحكومية للاستفادة من الامتيازات التي

تقدمها الدولة، ولكن غالبيتهم لا يخدمون في " الجيش الإسرائيلي " ، ولديهم شبكة تعليم خاصة باسم بيت يعقوب ، و يقيمون في أحياء منفصلة عن الجمهور العلماني .

× الحريدية غير الحزبية :

الجماعات الحريدية المخالفة لأجودات إسرائيل تتضوي تحتها عدة حركات من قبيل ذرية أهارون - ساطمر - نظوري كارتا - اليشيفا ، وتشارك جميعها في الامتناع عن خوض انتخابات الكنيست ، كما أن بعضها يرفض تلقي الأموال من الحركة الصهيونية كنوع من المعونة للحركات الدينية . وعلى عضو الطائفة الحريدية أن يمثل للأسس الثمانية عشر ، وهي دستور الطائفة ، وأهمها :

- × معارضة الصهيونية وجميع نشاطاتها
- × عدم الاشتراك في انتخابات الكنيست والانتخابات المحلية
- × مقاطعة مدارس ومعاهد تعليم اللغات الأجنبية
- × مقاطعة حزب أجودات إسرائيل لتعاونه مع الصهيونية
- × إقامة الدولة قبل قدوم المسيح المنتظر إنما هو عقاب خطير من الله
- × الكنيست تدنيس لأوامر الله وإهانة للتوراة لتناقضه مع قوانينه ومع شريعة موسى
- × المحافظة على اللباس العفيف
- × إرسال الأبناء إلى مدارس خاصة بالطائفة تستخدم اللغة اليديشية في التعليم
- × طائفة ساطمر :

يبلغ عدد أتباعها نحو ربع مليون نسمة ، ومعروفون بترائهم الواسع وهم يرفضون الصهيونية العلمانية و "دولة إسرائيل" ذات الطابع العلماني ، وأن شعب " إسرائيل " هم شعب من المارقين عن الدين ، وأتباع هذه الطائفة قليلون في " إسرائيل " بسبب معاداتها للصهيونية .

× جماعة نظوري كارتا :

الاسم آرامي ويعني حراس المدينة ، وكما سبق ذكره فإن بداية ظهور هذه الجماعة عام ١٩٣٥ حين تفاوضت أجودات إسرائيل مع الحركة الصهيونية فظهر الإنشقاق بقيادة الحاخامات عمرام بلوي و أهارون كتسنلوبووجن و ليبله فايسبيش ، وأسسوا حركة باسم أجودات مشميريت هكوديش (رابطة الحراسة المقدسة) ، ثم أجودات هحيم (رابطة الحياة) ثم تغير الاسم إلى نظوري كارتا . والمتفحص للشارع الحريدي في " إسرائيل " اليوم يجد أكثر من خمس جماعات دينية تحمل نفس الاسم ، إذ:

× سيطر الحاخام أهارون كتسنلوبووجن على الحركة الأم ، وعدد أتباعها في " إسرائيل " لا يزيد على ٣٠ عائلة، وهي المقصودة بنظوري كارتا المعروفة عند العرب، وذلك بسبب المواقف السياسية لسكرتيرها و"وزير خارجيتها" الحاخام موشيه هيرش من القضية الفلسطينية .

× وشكل الحاخام أوري عميرام بلوي جماعة أخرى بنفس الاسم وهي العدو اللدود للطائفة الأولى ، حيث تسود بينهما كراهية شديدة تصل أحياناً إلى حد الاشتباك بالأيدي ، وكلتاها تزعم أنها نظوري كارتا الأصلية .

× جماعة ذرية أهaron تعتبر نفسها ممثلة لنظوري كارتا الحقيقية وليس بالاسم فقط ، بل من خلال الممارسة للعزلة وإقامة المظاهرات ومعارضة " الدولة الصهيونية " .

× جماعة المنفيون التي انفصلت قبل عدة سنوات عن طائفة فايجنش بعد أن طرد أتباعها بسبب اتهامهم بأنهم ضالون ، وسكنوا القدس وأقاموا لأنفسهم معبداً خاصاً .

× جماعة الحاخام ليبه فايسبيش الذي يعتبر من القادة التاريخيين لنظوري كارتا الأصلية .

ويبلغ عدد أتباع هذه الجماعات المنضوية تحت اسم نظوري كارتا قرابة نصف مليون نسمة داخل وخارج "إسرائيل" ، وتسكن منطقة مائة شعارييم التي تؤكد على أنها اشترتها برضى أصحابها الأصليين وبكامل ثمنها ، ومن الطريف أنها دعت وزير الخارجية الأمريكي الأسبق جورج شولتز عند زيارته " لإسرائيل " عام ١٩٨٧ للسكن في هذه المنطقة بدلاً من فندق هيلتون الموجود في منطقة محتلة .

ولنظوري كارتا مواقف كثيرة تعتبر إيجابية بلحاظ القضية الفلسطينية ، ولقاداتها تصريحات عديدة في هذا الإطار ، إذ قال الحاخام هيرش (نحن الحريديم نعرف أنفسنا كيهود فلسطينيين فالقسّم المقدس يجبر الشعب اليهودي على عدم السيطرة على البلاد المقدسة أو أي بلاد أخرى دون رغبة المواطنين الحقيقيين فيها ، وإن الصهيونية تدنيس للقدسية ومناقضة للديانة اليهودية لأنها تسيطر بالقوة وتضطهد الآخرين ، ولو جرى انتخاب حزب صهيوني من قبل الفلسطينيين ليقوم بتمثيلهم فلن أدعي عندها أن الصهيونية تسيطر بوساطة القوة ، لكن العرب اختاروا منظمة التحرير الفلسطينية ، ونحن بالتأكيد ام نختر الصهيونية ، إننا لا نزر حائط المبكى أو البلدة القديمة أو منطقة أخرى جرت السيطرة عليها بالقوة لأن ذلك يعتبر تجاوزاً) ٩ .

ومن المواقف التي تسجل لهذه الحركة :

× طلب الحاخام بلوي في برقية بعث بها إلى الأمين العام للأمم المتحدة في يوليو ١٩٤٩ وضع القدس تحت وصاية دولية ، وإصدار جوازات الأمم المتحدة للمتدينين اليهود الذين يرغبون في ذلك ، وأعلن استعداد نظوري كارتا لمغادرة القدس إلى أي مكان آخر يستطيع أفرادها العيش فيه بموجب التوراة والشريعة .

× عاصر الحاخامان بلوي وكتسلبويجن احتلال الضفة و قطاع غزة وأصدرا أمراً بمنع أتباع الطائفة من الذهاب إلى هذه المناطق حتى بقصد زيارة الأماكن المقدسة .

× اعترفت الحركة بحقوق الشعب الفلسطيني على كامل أرض فلسطين وأبدت استعداداً للعيش في ظل السلطة الفلسطينية واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للفلسطينيين وأدانت غزو "إسرائيل" للبنان في مطلع الثمانينيات .

× لما أعلن المجلس الوطني الفلسطيني عام ١٩٨٨ اعترافاً عملياً بـ "إسرائيل" ، وأعلن عن قيادة فلسطينية للضفة والقطاع ، أيدت الحركة إعلان قيام الدولة الفلسطينية واحتجت على اعتراف المنظمة بـ "إسرائيل" وعقد ممثلوها اجتماعاً طارئاً في نيويورك لتدارس الوضع وعبر المشتركون فيه عن استيائهم لأنهم يشعرون بأن ياسر عرفات قد خانهم .

× أرسلت الحركة وفداً لتقديم التعازي إلى إيران عند وفاة الإمام الخميني قدس سره نيابة عن الطائفة تقديراً لموقفه المناوئ للصهيونية ١٠ .

× تعتبر الحركة أن الكفاح الفلسطيني المسلح أمر مشروع ، وفي ذلك قال الحاخام هيرش (نحن ضد سفك الدماء ، وأيضاً منظمة التحرير ضد سفك الدماء ، ونحن نؤيد حق الفلسطينيين في استرجاع ما أخذ منهم بواسطة القوة) .

× أرسلت الحركة رسالة إلى قادة الاتحاد السوفييتي المنهار عام ١٩٩٠ على إثر سيل هجرات اليهود السوفييت إلى "إسرائيل" جاء فيها (إذا سكن اليهود السوفييت الدولة الصهيونية ، فسيجدون أنفسهم في وسط نزاع قومي مع الفلسطينيين ، وقد يستخدمون وقوداً للمدافع) ١١ .

وقد شاركت نظوري كارتا في المؤتمر الثاني لـ (حق العودة للفلسطينيين) والذي انعقد في العاصمة اللبنانية بيروت عام ٢٠٠٥ بمشاركة خمسة حاخامات يهود، قدموا من فرنسا وبريطانيا للتأكيد على حق العودة بموجب القرار ١٩٤ وإدانة جرائم "إسرائيل" بحق الشعب الفلسطيني والدعوة إلى تفكيكها سلمياً. وكان لافتاً في كلمة الحاخام البريطاني آرنولد ليون كوهين ممثل جمعية ناظوري كارتا اليهودية البريطانية في جلسة افتتاح المؤتمر تمييزه بين الصهيونية واليهودية وإدانتها للأعمال الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني . وقال (ارتأينا أنه من دورنا الإنساني والديني أن نشارك في المحادثات ونأمل أن نكون على حق. رسالتي اليوم أن الصهيونية واليهودية أمران مختلفان تماماً، ولا يمكن اعتبار العداء للصهيونية عداءً للسامية فهذان أمران مختلفان. إن الصهيونية لا يمكن بناؤها على الدين اليهودي وعلى التعاليم الإنسانية وما ترونها في وسائل الإعلام ودعم اليهود الأرثوذكس هو تشويه للحقائق وأمر خاطئ... الصهيونية مبنية على "دولة إسرائيل" والتي أدى قيامها إلى مواجهة قضى فيها الكثير من اليهود والفلسطينيين. نحن ندين الأعمال الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني ونتمنى أن نصل إلى حل دون سفك دماء جديدة. مجموعتنا ناظوري كارتا وترجمتها حامية الدين أو حامية المدينة تعمل على إيصال هذه الرسالة ووجهة نظر مجموعتنا) ١٢ .

المحور الثاني

العلاقات المسيحية - اليهودية

لم تكن العلاقة بين المسيحية واليهودية مبنية - في الأساس - على المحبة والمودة ، بل حالة عدائية لعدة أسباب تاريخية من قبيل تأمر اليهود على السيد المسيح عليه السلام و " صلبه " ، علاوة على مجموعة من التحركات التخريبية التي تعرض لها المسيحيون، إذ اتهموا اليهود بأنهم قاموا بإحراق روما عام ٦٤م، ما أدى إلى تعريضهم إلى اضطهاد شديد، وكذلك تعرضوا للقتيل عام ١٣٠م نتيجة المؤامرة التي دبرها المجلس الكهنوتي الأعلى الذي تأسس لإدارة شؤون اليهود أيام الرومان، والممارسات البشعة وعمليات تقتيل المسيحيين التي كان يقوم بها اليهود من أجل الحصول على الدم اللازم لفظير صهيون. وقد وُدت هذه الممارسات ردّات فعل قاسية من جانب المسيحيين، أدت إلى قيام "ميليشيات" مسلّحة لمواجهة هذه الأوضاع، كما هو الحال في فرنسا مثلاً، هذا إلى جانب النشاط الربوي اليهودي في العصور الوسطى في أوروبا، الذي ساهم في المضاربات الاقتصادية والسياسية لمجتمعات الإقطاع الأوروبي، الأمر الذي أدّى إلى حالة من السخط والاضطراب الاجتماعي جعلت الناس في حالة من الغليان، أدت إلى طرد اليهود من إنكلترا، ثم فرنسا وغيرها.

وكانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك بنظرية القديس أوغسطين، بأن ما ورد في الكتاب المقدس بشأن مملكة الله قائم في السماء وليس على الأرض، وبالتالي فإنّ القدس وصهيون ليسا مكانين محدودين على الأرض لسكن اليهود، ولكنهما مكانان سماويان مفتوحان أمام كل المؤمنين بالله، وقد وضع هذه النقطة بطريك الروم الكاثوليك في دمشق في كتاب له مؤرخ في ١٧/١١/١٩٧٧، حيث قال (إنه يفوت بني قومي أن السيد المسيح نسخ أحكام العهد القديم القومية، فبعد أن لعن سبع لعنات فقهاء العهد القديم [متى ٢٣]، ختم بهذا الحكم المبرم قائلاً : هوذا بيتكم خراباً [متى ٢٣.٢٣] وقد تحققت نبوءة السيد المسيح الذي رفضوه ولم يبق لهم وعد الله التوراتي بالأرض المقدسة) ١٣ ، وبذلك انتهت علاقة اليهود بأرض فلسطين إلى الأبد، هذا فضلاً عن أن البعض من المسيحيين يرى أن النبوءات الخاصة بعودة اليهود إلى أرض فلسطين تحققت سلفاً عندما أعادهم الملك الفارسي كوروش من منفاهم في بابل في القرن السادس قبل الميلاد، ولذلك ليس هناك أي نبوءة أخرى في العهد القديم تنص على عودتهم ثانية إلى فلسطين بعد عودتهم من الأسر البابلي.

x انشقاقات كنسية واختراقات صهيونية للمسيحية :

مع انتهاء العصور الوسطى استطاع اليهود الاستفادة من التحولات التي شهدتها الساحة العالمية آنذاك مثل فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ واكتشاف أمريكا عام ١٤٩٢ وسقوط الحكم الإسلامي في الأندلس، الذي تبعه طرد اليهود من إسبانيا، وهجرتهم إلى فرنسا وهولندا وإنكلترا وغيرها، حيث أخذوا في تشكيل طبقة اقتصادية ثرية، وبخاصة في مجال التجارة الخارجية، ما أغرى إنكلترا ودول أخرى على الاستعانة باليهود، للاستفادة من شبكة علاقاتهم التجارية الممتدة عبر أوروبا فيما بعد. ووجد اليهود في

هذه التحولات فرصة سانحة لاختراق المسيحية وتفتيتها، فشجعوا على الانشقاقات في الكنيسة، ومن ثم ظهرت الحركة البروتستانتية أو ما عرفت بحركة الإصلاح الديني، حيث تداخلت في هذه الحركة أساطير صهيونية تسربت إليها عبر التفسيرات الحرفية للتوراة، وساعد على تناميها دوافع سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة.

ومن أهم النتائج التي ترتبت على امتداد الحركة البروتستانتية في أوروبا على المستوى الفكري بالنسبة لليهود:

× ترجمة التوراة إلى اللغة الإنجليزية، ونشرها، وإتاحتها للقراءة من قبل العامة، وللدلالة على أهميتها في الثقافة الإنكليزية، أطلق على هذه التوراة المترجمة اسم التوراة الوطنية لإنكلترا .

× ضم العهد القديم (التوراة وما بعدها من كتب مقدسة إلى ما قبل السيد المسيح) إلى العهد الجديد (الأنجيل وكتب الرسل).

× انتشار الأساطير والأشعار، التي تتحدث عن تاريخ اليهود، وقصص أنبياء بني إسرائيل وملوكهم وأسباطهم وتعاليمهم وطقوسهم الاجتماعية والمدنية والدينية ونفيهم وخروجهم من مصر وفلسطين، وحروبهم وأغانيتهم ومراثيتهم، وهكذا دخلت فلسطين - في قراءات الكنائس ومواعظها وبالتالي في العقل المسيحي البروتستانتية - على أنها الأرض الموعودة، وصار اليهود هم شعب فلسطين الغرباء في أوروبا، والغائبون عن وطنهم والعائدون إليه في الوقت المناسب.

× تحول الحركة البروتستانتية إلى داعية شديدة الحماس من أجل ما أسمته عودة اليهود إلى فلسطين، أرض شعب الله القديم ، وهذا ما أشارت إليه دائرة المعارف البريطانية (إن الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين، قد بقي حياً في الأذهان، بفعل المسيحيين المتدينين، وعلى الأخص في بريطانيا، أكثر من فعل اليهود أنفسهم) ، ١٤

× أضحت الرغبة في الخلاص المسيحي وظهور السيد المسيح عليه السلام الحافز الديني وراء قيام الحركة الصهيونية المسيحية بمعنى مساعدة اليهود على إقامة دولتهم في فلسطين .

× الكنيسة الكاثوليكية والصهيونية :

بإعلان قيام الحركة الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر وبيان أهدافها ، وقعت المواجهة بين الحركة الصهيونية والبابوية ممثلة بالبابا بيوس العاشر، الذي رفض الموافقة على المشروع اليهودي - الصهيوني، في جعل القدس مركزاً لدولة يهودية، وأكد على البيان الذي كان أصدره الفاتيكان عند انعقاد مؤتمر بازل في سويسرا، وأوضح فيه أن جعل القدس مركزاً لدولة يهودية يتعارض مع نبوءات المسيح نفسه.

وبقي الفاتيكان مصمماً على مواقفه بالرغم من كل الضغوط التي كانت تمارس عليه من قبل الصهيونية ، إلا أنه في الستينات من القرن العشرين حصل تحولٌ في موقف الكنيسة الكاثوليكية عندما أصدرت وثيقة نوسترا إيتاتي التي برأت اليهود من دم المسيح، فقد أعلنت هذه الوثيقة، أن موت السيد المسيح لا يمكن أن يعزى عشوائياً إلى جميع الذين عاشوا في عهده، أو إلى يهود اليوم. وقد سبق صدور هذه الوثيقة، قيام البابا يوحنا الثالث والعشرين، بإلغاء مقطع من الصلاة الكاثوليكية يتحدث عن اليهود الملعونين، كما ألغى من النصوص الدينية جرم " قتل الرب " . وشهد المجمع الذي صدرت عنه هذه الوثيقة صداماً بين الكنائس الكاثوليكية العربية، والكنائس الغربية، عارض فيها المسيحيون العرب الاعتراف الديني باليهودية.

أحدثت هذه الوثيقة تحولاً خطيراً في رؤية الفاتيكان، انتقلت بموجبه من الرفض المبني على عقيدة دينية لقيام "دولة إسرائيل"، إلى التعامل مع الواقع المبني على معطيات سياسية، تكلفت بإقامة علاقات دبلوماسية بين الطرفين ثم زيارة ميدانية للبابا عام ٢٠٠٠ إلى فلسطين المحتلة " كصديق للشعب اليهودي بوصفه بابا الفاتيكان الذي قال مراراً إن أي نوع من معاداة السامية خطيئة " ١٥ .

× أمريكا البروتستانتية والصهيونية :

عندما انفتحت أبواب الهجرة الأوروبية - ولاسيما الإنجليزية - نحو أمريكا ، كان ينظر إلى الأرض المكتشفة على أنها أرض كنعان الجديدة ، خصوصاً من قبل البروتستانت ، والتطهيريون منهم على وجه الخصوص . وشبهوا هجرتهم بهجرة بني إسرائيل من مصر إلى أرض الميعاد :

× الملك جيمس الأول ملك بريطانيا = فرعون

× المهاجرون من أوروبا = بنو إسرائيل

× إنجلترا = مصر

× أمريكا = فلسطين (أرض كنعان)

ولذا كانوا يستحضرون نصوص التوراة وهم يواجهون السكان الأصليين في أمريكا " الهنود الحمر " ، وأصبحت التوراة مصدراً لأسمائهم ودليلاً لتشريعاتهم وغدوا يطلقون على أطفالهم أسماء البطارقة العبرانيين ، كما أضحت مدنهم ومستوطناتهم تحمل أسماء: بيت لحم - عدن - الخليل - يهودا - سالم - صهيون - القدس.

ومع نهاية القرن الثامن عشر أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودي يشكل جانباً مهماً من اللاهوت البروتستانتية الأميركي وأن (حدود الأرض الموعودة لإبراهيم ستعاد خلال العصر الألفي السعيد ، وسيعود المسيح إلى مملكة سياسية ثيوقراطية قائمة على الأرض ولها حكومة على غرار الحكومة الوطنية القائمة)

وقد أفرز ذلك الواقع زعماء يطالبون بعمل شعبي لإعادة اليهود إلى فلسطين ، وامتلات المكتبات الأمريكية والصحف بمؤلفات ومقالات دينية وديوية في هذا الإطار فأصبح الربط بين أرض فلسطين واليهود أمراً تلقائياً في الوسط الأميركي العام، وأثمرت المسألة سياسياً أيضاً بمصادقة الرئيس الأميركي وودر ويلسن على وعد بلفور ومواصلة تأكيده لزعماء الصهيونية بأن باستطاعتهم الاعتماد على تأييده الشخصي .

وبرز من بعده الرئيس هاري ترومان كمجسد للصهيونية الأميركية غير اليهودية على المستوى السياسي . وذلك بإجماع التواريخ الصهيونية . ورسم السياسة الأميركية اللاحقة وأكد في مذكراته ذلك بقوله (كان هدفي آنذاك وفي ما بعد أن أساعد على إنجاز العهد الوارد في وعد بلفور وإنقاذ بعض ضحايا النازية على الأقل ، ولم يكن إنجاز ذلك الهدف مرتبطاً بجدول زمني . لقد رسمت السياسة الأميركية بحيث تحقق بالطرق السلمية إقامة الوطن اليهودي ، وتتيح ليهود أوروبا حرية الدخول إليه) ١٧

وقد برزت معالم الصهيونية المسيحية في إدارة الرئيس الأميركي السابق رونالد ريغان عام ١٩٨٠ فما بعد ، وتم تتويج هذا التحرك سياسياً مع وصول الرئيس الحالي جورج دبليو بوش في نهاية الألفية الثانية ، مما أدى إلى وصول اليمين المسيحي ومشاركته في الحكم مما عنى دعماً مطلقاً لإسرائيل وتشجيعاً لها على ضرورة الحفاظ على الأراضي الفلسطينية . وقد كان لنشاط جماعات الضغط المسيحية الأصولية تأثيراً قوياً في الإدارة الأميركية منذ الثمانينيات؛ فهي تعمل في الداخل السياسي باتجاه تدعيم وتبني برامجها باتجاه تقديم أكبر عون " لإسرائيل " ودعماً لسياساتها، وممارسة الضغط المنظم على الكونجرس والإدارة الأمريكية والتأثير في الرأي العام لمصلحتها، ومنذ بداية التسعينيات أصبح للحركة الصهيونية المسيحية دوراً هاماً في تأمين كل ما من شأنه تفعيل ما جاءت به النبوءات الخاصة بالدعم لإسرائيل تمهيداً لمجئ المسيح ثانية .

ومن أهم منظمات الضغط بترتيب قوتها وقدرتها على النفوذ في السياسة الأميركية هي كالاتي ١٨ :

أولاً : منظمات اليمين المسيحي:

× منظمة الأغلبية الخلاقية لمؤسسها جيرى فالويل والذي يعتبر من قيادات الكنيسة المرثية ويعلن (أن الوقوف ضد إسرائيل هو معارضة لله) ويقول أيضا (إننى صهيوني وأؤمن نظرياً ونبوءة وسياسياً بأن أراضي فلسطين والأردن هي للشعب الإسرائيلي، ولا أحبذ أن تتخذ إسرائيل أى قرار بإعادة أي أرض لجيرانها العرب ..) ، وقد برز فالويل كقوة سياسية اعتباراً من منتصف السبعينيات، وقام بإنشاء عدة مؤسسات تعليمية بلغ عددها ١٨ ألف مدرسة في عام ١٩٨٠ ، كما تم إنشاء جامعة تضم أربع كليات لاهوتية وأكاديمية، بجانب مؤسسة سياسية والتي غدت جماعة ضغط منظمة تضم في أعضائها ٥ إلى ٧ مليون ونصف أميركي ولها جذورها العميقة في الثقافة الأميركية .

× شبكة الإذاعة المسيحية و منظمة التحالف المسيحي لمؤسسها وأبرز قياداتها بات روبرسون حيث ينظر للعرب على أنهم أعداء الله لأنه يعتبر صراع العرب مع إسرائيل ومعارضتهم لها تحدياً لإرادة الله ، تملك هذه الشبكة المسيحية أربع محطات تلفزيونية وشبكة سلكية وبلغ صافي دخلها السنوي ٢٣٣ مليون دولار في عام ١٩٨٥ ، كما يملك روبرسون جامعة معتمدة منذ عام ١٩٧٧ وبها كليات لدراسة الإعلام والتربية وإدارة الأعمال والقانون والدراسات التوراتية .

ثانياً : جماعات ضغط منظمة بشكل رئيسي من أجل " إسرائيل " والقدس:

× منظمة السفارة المسيحية الدولية - القدس : تنشط تلك المنظمة في ثلاثين بلداً في أوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا وأستراليا، ولها ٢٠ قنصلية في الولايات المتحدة للإشراف على نشاطاتها، وتحث الناس على شراء منتجات إسرائيلية وتبيع سندات إسرائيلية للجماعات الأصولية في أمريكا، وتتبرع وتقدم الدعم للمستوطنين في الضفة وغزة، ويؤمن أعضاؤها بأنهم يفعلون هذه الأعمال وغيرها نيابة عن إسرائيل فإنما ينفذون إرادة الله .

× مؤسسة جبل الهيكل : وهي ذات أهداف صهيونية محددة تهدف إلى إنشاء جبل الهيكل في القدس، ويقع مقرها الرئيسي في لوس أنجيلوس ولها إمتدادات داخل " إسرائيل " نفسها، وتقوم المؤسسة بتقديم المساعدات المالية لتدريب عدد من الكهنة اليهود على كيفية خدمة المعبد " الهيكل " الذي تتوي بنائه، ويقومون بتزويد علماء آثار بأحدث التقنيات وتمويل حملاتهم للتحقيق عن الهيكل تحت المسجد الأقصى .

× المائدة المستديرة الدينية : تأسست هذه المنظمة في ١٩٧٩ على يد عدد من القيادات المسيحية الأصولية والسياسية من أمثال جيرى فالويل و بول ويرشي و القس إدوارد ماك آتير، والهدف منها هو تنظيم لقاءات بين القيادات السياسية والقيادات الإنجيلية والأصولية بشكل عام، وأبرز نشاطاتها حفلات الأفطار السنوية التي تقيمها للصلاة من أجل إسرائيل ودعم سياسياتها وأغراضها، وتشارك في تنظيم رحلات وزيارات لإسرائيل لدعمها لوجستياً ومادياً .

× مؤتمر القيادة المسيحية الوطنية لأجل إسرائيل : تشكل تحالف من أجل إسرائيل من قبل جماعات ومؤسسات وقيادات مسيحية صهيونية غير يهودية عام ١٩٨٠ يهدف إلى العمل من أجل إسرائيل وتطوير ائتلاف أوسع وجبهة موحدة لدعم الصهيونية داخل المجتمع المسيحي الأميركي .

× البنك المسيحي الأمريكي لأجل إسرائيل : من المؤسسات التي تركز نفسها لخدمة إسرائيل وسياستها التهودية والتوسعية خاصة في شراء الأراضي العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة أو الاستيلاء عليها وحيازتها وبناء المستوطنات ، كما تقوم بتوفير دعم مالي وتقني للتدريب العسكري للإسرائيليين في الولايات المتحدة .

x الواقع المسيحي المعاصر وعلاقته بالصهيونية :

هل أن ماسبق يعني إطباقاً من قبل العالم المسيحي المعاصر في تأييد " الوجود الإسرائيلي " والسياسات الصهيونية ؟ الحقيقة خلاف ذلك تماماً ، يقول القس الدكتور رياض جرجور - الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط - ضمن التوصيات التي وردت في محاضراته حول المسيحية الصهيونية ١٩ :

أولاً: إن ما يسمى بالصهيونية المسيحية لا يمت بصلة الى المسيحية بجميع كنائسها وطوائفها. إنها اقتتاص للمسيحية لوضعها رهينة في خدمة مصالح الصهيونية، وهي تشويه مشبوه الغايات لبعض ما جاء في أسفار الكتب المقدسة.

ثانياً: إنها مؤامرة حيكّت ضد المسيحيين عامةً في العالم والمسيحيين العرب خاصة، فهي تضرب كل مشروع حوار ما بين المسيحية والإسلام، وتبرر أطروحات صراع الحضارات والأديان، ولا سيما المسيحية والإسلام، وهي تستهدف ضرب العيش المشترك الإسلامي المسيحي في دنيا العرب، ذلك العيش الذي مارسناه معاً وما زلنا بحلوه ومره منذ بداية الإسلام وحتى أيامنا هذه وبدون انقطاع.

ثالثاً: إن هذا الأمر يطرح علينا جميعاً تحدياً كبيراً وهو بناء الوعي الذي يمنع تزييف الدين واستخدامه في تبرير سياسات الظلم والعدوان أو إضفاء القدسية على أحلام وأوهام مدمرة.

رابعاً: الصهيونية والمسيحية نقيضان، كما العنصرية والاصطفاء والاستعمار والاستكبار والظلم على نقيض مع المحبة والتواضع والأخوة والعدل والحق والسلام. أما أن تستخدم الصهيونية الأميركية المسيحية قناعاً ووسيلة وتبريراً لمشاريعها فإن هذا الأمر حاصل للأسف اليوم في أمريكا ويمكن لا سمح الله أن يحصل في أي بلد آخر. الكلمة الفصل فيما يعيننا نحن المسيحيين هي قول السيد المسيح " من ثمارهم تعرفونهم " .

وفي مؤتمّر دربان المعارض للعنصرية والذي عقد عام ٢٠٠١ في جنوب أفريقيا اندهش أحد الحضور العرب من حجم التأييد من قبل مؤسسات ومنظمات غير حكومية بلغت ٣٠٠٠ مؤسسة ومنظمة (لقد كان هناك تعاطف من قبل الجميع مع القضايا العربية وفوجئنا جميعاً بأن ما يفهمه الأفارقة والآسيويون وبعض من وفود أمريكا اللاتينية عن قضايانا أضعاف ما نفهمه نحن عن قضاياهم، وأن سياسات الإعلام الرسمي قد عمت أعيننا عن حلفائنا الحقيقيين!!) ٢٠ .

نتائج وتوصيات :

مما سبق يتبين أن المجال مفتوح للعمل الإعلامي والسياسي مع أطراف دينية وغير دينية من بينها الطوائف اليهودية والمسيحية التي تعتبر أن وجود ما يسمى بـ " دولة إسرائيل " الحالية لا يمثل بعداً دينياً بالنسبة إليها ، بل تعتبرها كياناً مغتصباً مارقاً معتدياً على أصحاب الأرض وتمرداً على الإرادة الإلهية والوعود السماوية، وهي وجودات تعادي الصهيونية بوسائل متعددة ، الأمر الذي يشجع على فتح حوارات وسبل تعاون وفق خطوات مدروسة بهدف إيصال صوت مسيحي - يهودي مغيب عن الساحة العالمية - بما فيها الساحة العربية - ، بل إن بالإمكان أن يعاد طرق أبواب الكثير من المؤسسات والمنظمات الدينية وغير الدينية في العالم لبيان حقائق الأمور، وقد تحدث الكاتب بصحيفة الأسبوع الصادرة بمصر ، خالد محمود عن ضعف النشاط الإعلامي العربي السابق والمساق لمؤتمر دربان المعارض للعنصرية إذ قال (ما الذي كان يمنع العرب من أن يحولوا دربان إلى جنوة العرب ، فيحشدوا ربع مليون أو نصف مليون ويحاصروا الإدارة الأمريكية والكيان الصهيوني ويقيموا ثكنة إعلامية على شاكلة الـ المنتدى الاجتماعي بإيطاليا ويغزلوا شبكة سياسية ثقافية تغطي العالم كله على شكل ما رأينا وشاركنا- في مؤتمر جنوة ١٩٩٩! ما الذي كان يمنع العرب أن يبدؤوا المعركة قبلها بشهر أو اثنين أو سنة.. فيقيموا روابط مع ألف ومليون منظمة ويدقوا على كل بيت وكل جامعة وكل صحيفة وكل حزب في العالم يشرحون لهم عدالة القضية الفلسطينية و" يربطون " معهم لقاء دربان؟ ما الذي كان يمنع أن ينشأ صندوق يمول سفر آلاف أو خمسين ألف شاب عربي إلى دربان.. من مختلف ألوان الطيف السياسي والفكري لنزل العالم هناك، لتموله القمة أو الجامعة أو التبرعات؟ ما الذي كان يمنع أن يحشد الإعلام ويدعي كل قادر وقادرة من الشباب العربي سواء شباب الخليج أو شباب المهجر أو أي شاب قادر آخر للسفر إلى هناك ؟ ما الذي كان يمنع أن تسافر القنوات التلفزيونية النائمة في العسل أو المشغولة بنقار الديكة أن تسافر إلى هناك والتي بدأت تغطيتها أمس ؟ ما الذي يمنع التنسيق مع ثلاث قوى سياسية مهمة وحيوية كانت موجودة هناك.. مسلمي جنوب أفريقيا - الحركة الوطنية المعادية تاريخياً للعنصرية - واليسار الجنوب أفريقي وموقفهم من الممارسات الصهيونية فوق كل لبس ؟ ما الذي كان يمنع أن يعاد نشر كتابات الثائر والقديس خالد الذكر نيلسون مانديلا ضد الصهيونية .. وكتابته الأخيرة ضد توماس فريدمان.. إن المأساة تبدأ من ٤٨ لا رد على كل هذه الأسئلة سوى أننا لسنا أكثر من مخلفات عصور وسطى بيننا وبين العصر الذي نعيش فيه ألف عصر وعصر لن نفهم ولن نتعلم لا نستحق من الحياة أكثر مما نحن فيه ميللي جرام واحد) ٢١ .

مصادر البحث

١ موسوعة الأديان الميسرة - دار النفائس ص ٣٣٥

٢ المرتكزات العنصرية للفكر الصهيوني، موقع الإعلام الفلسطيني

٣ عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية، المجلد الثامن، ص ٤٣

٤ رشاد عبدالله الشامي : القوى الدينية في إسرائيل، ص ٨

٥ ن . م . ص ١٠٢ - ١٠٣

٦ جارودي : روجيه ، : الصهيونية السياسية ، أبحاث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية ، ص ٣٦٠ ،

٧ ن . م .

٨ تلمي ، أفرايم ومناحك : المعجم الصهيوني ، ص ١٠ .

٩ رشاد عبدالله الشامي : القوى الدينية في إسرائيل، ص ٢٦٤

١٠ صحيفة معاريف ، ٢٢ / ٦ / ١٩٨٩

١١ صحيفة الشعب ، ٥ / ٢ / ١٩٩٠

١٢ صحيفة الوطن الكويتية ، ٢ / ٢ / ٢٠٠٥

١٣ الكنيسة الكاثوليكية بين الممانعة والاختراق الصهيوني ، موقع بينات على شبكة الانترنت

١٤ ن . م .

١٥ ن . م .

١٦ ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية ص ١٢٥ نقلاً عن : Selig Adler: America and

The Holy Land, p40

١٧ ترومان : المذكرات ص ١٥٧

١٨ بيسان عدوان : أمريكا الدينية وإسرائيل ، الحوار المتمدن ، العدد: ١٣٢٨ - ٢٥ / ٩ / ٢٠٠٥

١٩ ندوة فكرية - مركز الإمام الخميني الثقافي - بيروت الأثنين ، ٥ أيار «مايو» ٢٠٠٣

٢٠ عماد جاد : قراءة للموقف الأمريكي والإسرائيلي في المؤتمر، تقرير حول حقيقة ما حدث في دربان ، المؤتمر العالمي ضد العنصرية في جنوب أفريقيا ٢٠٠١ ، ص ٤٤ .

٢١ خالد محمود : اشتباك ديرين ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .